كتاب منادح المادح

في المكتبة الخالدية[1] ببيت المقدس نسخة من كتاب مشجر كتب بمختلف الاصباغ والليق وقد جاء في صدره : « كتاب منادح المادح وروضة المآثر والمفاخر في خصائص الملك الناصر رحمه الله » .

قال عبد المنعم بن عمر بن حسان الغسّاني الاندلسي الجلياني وهذه : صورة المدبجة المشجرة المبهجة ذات النهرين أنشأتها في سنة ثمان وتسعين (كذا) وخمسمائة والحمد لله رب العالمين وصلواته على محمد وآله اجمعين » .

ويعرف هذا الكتاب بالمدبجات وقد جاء في طبقات الاطباء[2] وفوات الوفيات[3] ان عبدالمنعم هذا فضلاً عن انه كان طبيباً يقال له حكيم الزمان فقد كان اديباً يشار اليه بالبنان ، وانه كان مشهوراً بعمل المدبجات وان الكتاب الذي نحن بصدده قد ألفه سنة ٥٦٩ وهو يخالف التاريخ المذكور اعلاه ولكنه أصح منه زعماً وأصدق قيلاً لان السلطان صلاح الدين قد توفي سنة ٥٨٩هـ ١١٩٣م فلا يصح ان يكون قد انشأ المنشئ مدبجته بمدحه في سنة ٥٩٨هـ ١٢٠٢م والأصوب ان يكون ذلك في سنة ٥٦٩هـ ١١٧٤م كما ذكره ابن

---

(١) راجع وصفنا لهذه المكتبة في مجلة المجمع العلمي العربي مجلد ٤ صفحة ٣٦٦ .

(٢) طبقات الاطباء ج ٢ ص ١٥٧ . (٣) فوات الوفيات ج ٢ ص ١٦ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ابي أصيبعة في طبقات الاطباء هذا اذا لم يكن في سنة ٥٦٨ وناسخ المديحات نسخها ٥٩٨ سهواً . وقال الحاج خليفة في كشف الظنون [١] .

« ديوان التديج لابي الفضل عبدالمنعم بن عمر الجلياني المتوفى سنة ٦٠٢ جملته مائة بيت واثنا عشر بيتاً وهو مشتمل على أعاجيب من المديحات المعجزة النظم .

وقد زيدت اسماء أجداده في طبقات الاطبا وفوات الوفيات الذي يظهر ان مؤلفه نقل عن صاحب الطبقات فقيل عنه عبد المنعم بن عمر بن عبد الله بن احمد بن خضر بن مالك بن حسان وترك ابن ابي أصيبعة او ناسخ كتابه عند ذكر تاريخ الوفاة بياضاً كأنه لم يتحققه بعكس ابن شاكر الكتبي فانه عينها في سنة ٦٠٢هـ ١٢٠٦م وكذلك الحاج خليفة وقد تقدّم قوله .

وكنت ذكرت هذا الكتاب في مقالتي التي كتبتها عن المخطوطات النادرة المحفوظة في خزانة الكتب الخالدية [٢] ونقلت اليها تاريخ وفاة المؤلف كما هي الا ان المجمع العلمي كان اختصر تلك المقالة المطوّلة فعند تمثيلها بالطبع جاء تاريخ وفاته سهواً سنة ٦١٣ هـ ١٢١٦م في حين ان هذا التاريخ هو لوفاة الملك الظاهر بن صلاح الدين الذي قلتُ انه أحد ممدوحي عبد المنعم .

وفي هذا الكتاب جداول هندسية بخطوط ملوّنة وعدة قصائد تقرأ من اول حروفها ثم كلمات بعض الشطور فتلتئم مع الباقي .

ويظهر ان المديحات التي فيها لم تكن مقصورة على مدح السلطان صلاح الدين وحده بل تناولت اولاده كما ستراه في المثال الذي سنذكره .

ومن هذا الكتاب نسخة في المكتبة الظاهرية بدمشق وأخرى في دار الكتب المصرية بالقاهرة وثالثة في الخزانة الزكية لصاحبها صديقنا العلامة الجليل الاستاذ احمد زكي باشا فيها ايضاً ورابعة في المكتبة الاهلية بباريز .

وقد كنتُ اجتمعت في المكتبة الخالدية بالمستشرق الدانيماركي بدرسن (Pedersen)

---

(١) كشف الظنون طبع القسطنطينية ج ١ ص ٥٠٦ .

(٢) مجلة المجمع العلمي العربي م ٤ ص ٣٦٧ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وهو من اعضاء مجمعنا العلمي فكان قصارى همه ان يطلع على هذا الكتاب النفيس ثم اطلع بعد ذلك على غيره مما احتوت عليه تلك المكتبة الغنية بمخطوطاتها ومطبوعاتها وكان ذلك قبيل الحرب العامة .

وهذا نص ما قاله عبد المنعم في مقدمة مدبجة وردت في اوسط الكتاب :

« واعلم ان أبيات هذه المدبجة المشجرة بسافها التي تسلك في سطر المدبجة طولاً مبدؤها من الغصن الذي في آخر شطر منها وهو مكتوب بالاحمر صاعداً الى الشجرة جملتها في العدد ثلاثة وخمسون بيتاً مميتاً . كلها مداخل بعضها في بعض ولتخرج أبياتها ان شاء الله تعالى بعد فراغنا من المدبجة ليستعان على قراءتها بعون الله وحسن توفيقه ومنه وكرمه » .

ثم قال : « أنشأت هذه الرسالة المحبوكة للملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب في سنة خمس وثمانين وخمسمائة » .

وجاء في أواخر الكتاب ما نسخته :

« بسم الله الرحمن الرحيم قال عبدالمنعم بن عمر بن حسان الغساني الاندلسي الجلياني في سنة اثنتين وستمائة و يجب ان تكون آخر مدبجاته لانه توفي بها . الحمد لله جاعل الملوك صفوة الأنام وجلوة الايام وقدوة الاحكام وأسوة الأحكام فهم نور لدى الأظلام ونار على الأعلام الى فنائهم يرتحل ارباب الأحلام وفي ثنائهم يرتجل أصحاب الأفلام فكم فيهم من ذوي همم يرتاد جدب الخبير الماهر وذوي شيم يقتاد قلب البصير الطاهر كمثل شمائل الملك الظاهر لانه اكمل الملوك النظار فهما وانفذهم في رمايا الاسرار سهما فنظره اذا فُوّق الى أغراض المشكلات أصمى وفض عرى الحوادث المعضلات فصما فنواصل الحمد لله الذي اختص هذا الملك بما لم يجر مثله في الأوهام و يسر لنا تحبير ذكره بسابق الاذن منه والالهام وصلواته على سيدنا محمد أفصح ناطق بجوامع الكلام وأنصح صادق يدعو الى دار السلام صلى الله عليه وعلى آله وصحبه دراري آفاق الاسلام . اما بعد فانه لما أذن الله تعالى لي بالحركة الى المقام الظاهري الأرفع قادماً عليه بارفع وأعجب التحفة من المقال المبدع من مدبجة خرقت العوائد :

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

شبا بالحسام العضب كل منازعِ وأورد بحر الفضل سامي المنازعِ
غياث الانام الظاهر الملك الذي به حاب طالت معاذاً لنـازعِ
شبا بالحسام العضب كل منازعِ وأورد بحر العلم مسبح جازعِ
غياث الأنام الظاهر الملك الذي به حاب طالت مقراً لهـازعِ
شبا بالحسام العضب كل منازعِ وأورد بحر الفضل غامر شارعِ
غياث الأنام الظاهر الملك الذي به حاب طالت معاذاً لضارعِ

الى ان يقول :

شبا بالحسام العضب كل منازعِ وأروى عُناة مالهم من موارعِ
غياث الأنام الظاهر الملك الذي به الشام أضحت معلماً في المذارعِ
شبا بالحسام العضب كل منازعِ وأروى الظبا اقدامه في الدوارع
غياث الأنام الظاهر الملك الذي به الشام قد حازت قداح المقارع

وبين العجز من هذه الشطور كلمات بالحبر الأحمر تتألف منهـا أبيات أخرى .
وظاهر ان هذه المدبجة هي بمديح الملك الظاهر بن الملك الناصر صلاح الدين والكتاب كله من هذا النوع الا ان التكلف بادٍ على اشعاره باسباب مداخلتها بعضها ببعض بخلاف أشعار الناظم الاخرى فانها لا تخلو من سلاسة وسهولة .

عبد الله مخلص

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net